الحلقة السابعة عشرة

شهر رمضان شهر الجهاد (غزوة بدر)

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الإخوة المؤمنون :أيتها الأخوات المؤمنات :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وبعد : فشهر رمضان شهر جهاد ، جهاد ضد النفس ، وجهاد ضد أعداء الإسلام ، أما إنه جهاد ضد النفس، فلأن الصائم يكبح جماح نفسه بصومه ، ويقيدها ويتحكم فيها ، ويوجهها إلى ميدان الخير ويجعلها طوع إرادته ووفق ما يريد ، ويلجمها ويبعدها عما تريد من شهوات ، وأما إنه جهاد ضد الأعداء الذين يقفون في طريق الإسلام ، ويعملون علي محاصرته ومحاربته بشتي الوسائل ومختلف الأساليب ، من أجل القضاء عليه وعلي أتباعه ، فلأن هذا الشهر المبارك قد شهد معارك إسلامية ، بها انتصر الحق علي الباطل ، وبسببها قويت شوكة الإسلام والمسلمين .

ومن أبرز ما حدث من صدام مسلح في هذا الشهر بين المسلمين والكفار، تلك الغزوة الكبرى التي تحدث عنها القران الكريم باستفاضة وإسهاب ،وهى غزوة بدر الكبرى ، وقبل الحديث عن تلك الغزوة المباركة وسببها ، يجدر بي أن أتحدث عن شيء آخر سبقها ولحقها ، ويتمثل ذلك في السرايا الإسلامية ، وهذه السرايا بدأت في شهر رمضان الأول ، الذي تلا الهجرة إلى المدينة ، إذ أنه بعد أن هاجر المسلمون ، شهد أول رمضان بعدها ميلاد أول سرية إسلامية بقيادة حمزة بن عبد المطلب - رضى الله عنه - والسرية هي تلك التي لم يخرج فيها الرسول - عليه الصلاة والسلام - ، أو خرج فيها ولم يحارب ، أما التي خرج فيها

وحارب فتسمى غزوة . وقد تلا هذه السرية التي كانت بقيادة حمزة سرية عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، وشهدت رمضانات أخرى سرايا أخرى للمسلمين ، وقد رفعت هذه السرايا الروح المعنوية لدي المسلمين وأشعرتهم بقوتهم ، وربتهم على ملاقاة الأعداء بشجاعة ومضاء عزيمة ، وزودتهم بالمعلومات عن الأعداء ، وقد سبق غزوة بدر سرية استطلاع بقيادة عبد الله بن جحش في شهر من الأشهر الحرم وهو شهر رجب من السنة الثانية من الهجرة ، وقد اضطرت هذه السرية لمقاتلة قافلة كان عليها عمرو بن الحضرمي ، وقد جاء الأمر الإلهي بالقتال ، حيث قال رب العزة - جل شأنه - :

﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام ، وإخراج أهله منه أكبر عند الله ، والفتنة أكبر من القتل ، ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (البقرة : ٢١٧) .

وعندئذ سرت في قريش دعوة محمومة لقتال الرسول وأنصاره ، وأخذت قريش تعد العدة ، وتجمع للعير المسافرة إلى الشام أموالاً كثيرة من شتى بيوت أهل مكة ، وتجعل عليها أعدادا كبيرة من الرجال ذوى الحيلة والقوة والبأس، وتزودهم بالمعرفة والحذر والسلاح ، وخرجت من مكة قافلة تجارية كبيرة تتكون من ألف بعير ، واشترك في حراستها أكثر من ثلاثين رجلا من الأشداء وبقيادة أبى سفيان ، وهنا رأى المسلمون الفرصة سانحة ليستردوا أموالهم التي تركوها عنوة في مكة ، وخرج الرسول - عليه الصلاة والسلام - في سرية لاعتراض القافلة وهى في طريقها إلى الشام ، ولكن شاءت الأقدار ألا تلحق السرية القافلة ، وترقب المسلمون القافلة حين عودتها ، وأعدوا جيشا من المهاجرين والأنصار من أجل هذا الغرض، وعلم أبو سفيان بما انتواه المسلمون ، فسلك طريقا آخر لينجو بالقافلة ، وفى الوقت نفسه أرسل رجلا إلى

قريش يطلب منها الغوث ، ويثير فيهم الحماس ، ويدعوهم إلى نجدة القافلة وتأديب المسلمين ، وسمع أبو جهل عدو الإسلام صيحات هذا الرجل الذي أرسله أبو سفيان ، فصاح بدوره بالناس عند الكعبة ، يحمسهم لإنقاذ القافلة والأموال ، واجتمعت قريش وأعدت جيشا قويا لقتال المسلمين والقضاء عليهم وعلى دعوة الإسلام ، وهنا كانت القافلة قد نجت ولم يتعرض لها أحد من المسلمين ، وذلك لان أبا سفيان سلك بها طريقا آخر غير الطريق المألوف ، وما دام الأمر كذلك ، فلا داعي إذاً لخروج جيش الكفر لشن الحرب على المسلمين ، ولكن الشيطان قد زين لقريش دخول المعركة وسولت لهم نفوسهم أن يذهبوا بجيش كبير لقتال المسلمين ، وخرجت حملة الكفر يتقدمها جماعة من الجوارى يضربن الدفوف ، وكان أبو جهل أقسم ألا يرجع من بدر إلا بعد أن يقيم فيها ثلاثة أيام ينحر ويشرب وتعزف الجواري ويسمع به كل العرب، وخرج هذا الجيش الكبير والكبر يملؤه ، والغرور يقوده ، وقد صمم الكفار على محاربة المسلمين ، وبيتوا النية على إنزال الهزيمة بهم ، وذهب الجيش نحو بدر ، والرسول - عليه الصلاة والسلام - لم يكن آنذاك مستعدا لخوض الحرب ، وكان كل ما يدور بذهنه وأذهان المسلمين معه ، أن يتعقبوا القافلة ، ويستردوا ما أخذ منهم بالقوة ، وإذاً فالحرب كانت غير واردة لدى المسلمين ، ولكن ماذا يفعل الرسول بعد أن أفلتت القافلة ، وبعد أن حشدت قريش هذا الجيش الكبير لشن حرب عنيفة ضد الإسلام والمسلمين ؟ إن الرسول - عليه الصلاة والسلام - أمام هذا الموقف ، لابد له من أن يتخذ القرار المناسب الذي به يواجه ما برز من مفاجآت ، ومن المحتم عليه أن يعالج الموقف بما يكفل المصلحة للإسلام والمسلمين ، ولذا نجد الرسول حينذاك يتخذ من المواقف ما يضمن له سلامة جبهته وما يشحذ العزائم لمواجهة الخطر الذي يهدد الإسلام وأتباعه ، نجد - عليه السلام - يجمع الأنصار والمهاجرين ، ويعقد لهم مؤتمرا عاجلا للوقوف على آرائهم بعد

طرح المشكلة عليهم وللخروج برأي موحد للجانبين، يمثل القوة والحسم ، والوحدة والعزم، إنه لموقف عظيم من جانب الرسول، فهو لم يكن مستبدا برأيه ، ولم يكن منفردا بقرار، وإنما كان الأمر شورى بينه وبين المسلمين ، حتى إذا كان هناك قرار بدخول المعركة كان قرارا صادرا عن الجماعة وله أرضية صلبة ومن شأن ذلك أن تكون له قوته وفاعليته وإيجابيته، حيث إن الأمر ليس سهلا ولا هزلا ، ولان المعركة ستحدد المسار ، وسيترتب عليها مستقبل الإسلام والمسلمين، وبناء على دعوة الرسول للمهاجرين والأنصار لمواجهة الموقف ، انتظم العقد وعقد المؤتمر ، وطرح الرسول - عليه السلام - الموقف وأبعاده عليهم ، وطلب منهم الإدلاء بالرأي ، وطرح أفكارهم على مائدة البحث والمناقشة ، فهل كان المسلمون على مستوى المسئولية ؟ وهل قدموا الرأي السليم الذي يناسب الموقف ؟ وهل كانوا جميعا على قلب رجل واحد ؟ أم كانوا يحملون قلوبا شتى وأفكارا ضحلة ؟ إن التاريخ قد سجل لهم الفكر المستنير ، والرأي السليم ، والجماعة الواحدة ، والموقف الجاد . وفى الحلقة اللاحقة بمشيئة الله - تعالى - ، يتواصل الحديث في رحاب غزوة بدر ، للتعرف على ما حدث فيها من عوامل النصر للمؤمنين ، وإلحاق الهزيمة الكبرى بالكافرين ، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم .